

(٢)



رضي الله عنها

الزهراء البتول

ابراهيم محمد حسن الجمل

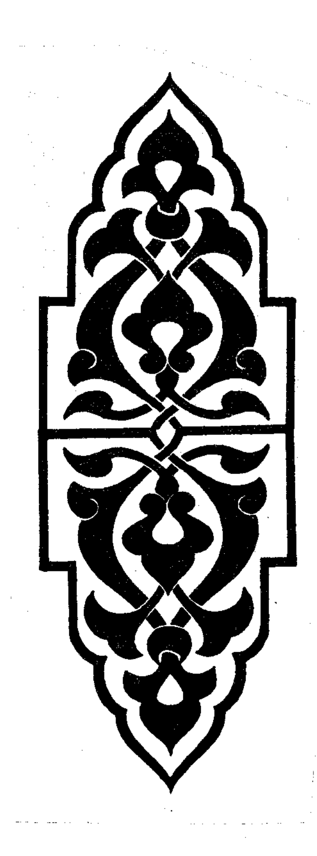
دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مِيلادُ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ
(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

وُلِدَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِيَ الله عنهَا) بنتُ مُحَمَّد ابن عبدِ الله ﷺ فِى عَامٍ لهُ تَارِيخٌ يُؤَرِّخُ لهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ (٦٠٥ م) ، فَقَدْ حَصَلَ أَمرٌ عَظِيمٌ لم تَعْهَدْهُ مَكَّةُ مِن قَبْلُ ، فَقَدْ طَغَى عَلَى البَيْتِ الحَرَامِ سَيْلٌ جَارِفٌ ، انحَدَرَ مِنَ الجِبَالِ الَّتِى تُحِيطُ بِمكَّةَ ، فَصَدَّعَ بُنْيَانَ الكَعبَةِ وَالبَيْتِ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى البِنَاء ، فَبَنَوْا الكَعْبَةَ ، وارتَفَعُوا بِهَا ، ولَمَّا جَاءَ وَضْعُ الحَجَرِ ، اخْتَلَفُوا فِيمَنْ يَكُونُ لَهُ شَرَفُ حَمْلِهِ ، وَوَضْعِهِ فِى مَكَانِهِ ، وَكَادَتْ تَقُومُ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ ضَرُوسٌ ، فَقَد تَحَالَفَ لَهَا بَنُو عَبْدِ الدَّارِ وَبَنُو عَدِيٍّ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَحُولُوا بَيْنَ أَيَّةِ قَبِيلَةٍ تَحْمِلُ الحَجَرَ ، ويَكُونُ لَهَا الشَّرَفُ العَظِيمُ بِوَضْعِهِ فِى مَكَانِهِ ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ .

رَأَى أَبُو أُمَيَّةَ بْن المُغِيرَة المَخْزُومِى ــ وَهُوَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ مَكَّةَ أَمْرُهُ نَافِذٌ عَلَيْهِمْ ــ مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُ القَوْمِ ، فَقَالَ لَهُمْ : (اجْعَلُوا الحَكَمَ بَيْنَكُمْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الصَّفَا) أَحد أَبْوَابِ البَيْتِ الكَثِيرَةِ .



فَرَاحَ الجَمِيعُ يترَقَّبُونَ مَنْ سَيَكُونُ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَوْا مُحَمَّدًا بنَ عَبْدِ الله ﷺ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الصَّفَا قَالُوا جَمِيعاً بِصَوْتٍ وَاحِدٍ : (هَذَا الأَمِينُ رَضِينَا بِحُكْمِهِ) .

قَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمْ ... وَعَرَّفُوه بَأَنَّ مَا يَحْكُمُ بِهِ سَيَكُونُ مَانِعاً لحَرْبٍ شَدِيدَةٍ مُهْلِكَةٍ ... قَدْ تَقَعُ بَيْنَهُمْ ، فَتَقْضِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

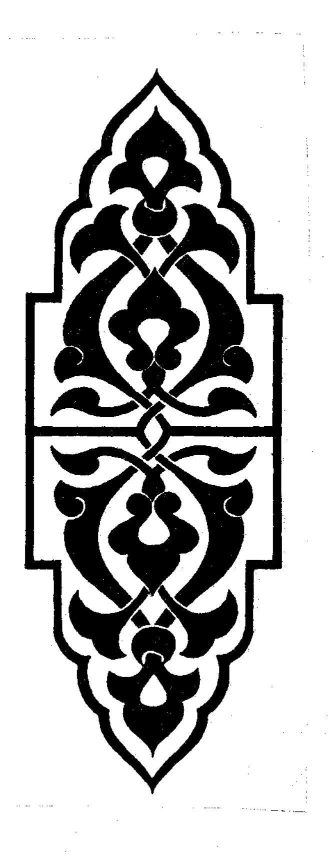
فكَّرَ مُحَمَّدٌ ﷺ قليلًا ، ثُمَّ قَالَ : « هَلُمَّ إِليّ ثَوْباً »[1] .

فَلَمَّا أَتَوْهُ بالثَّوْبِ ، نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مُتَسَائِلينَ ، وَمَاذَا سَيَفْعَلُ مُحَمَّدٌ بِالثَّوْب ؟

نَشَرَهُ عَلَى الأَرْضِ ، ثُمَّ أَخَذَ الحَجَرَ بِيَدَيْهِ ، وَوَضَعَهُ فِي وَسَطِ الثَّوْبِ ، ثُمَّ نَادَى كَبِيرَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَطَلَبَ أَنْ يَأْخُذَ كُلُّ كَبِيرٍ عَنْ قَبِيلَتِهِ بِطَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ هَذَا الثَّوْبِ ، وَبِهَذَا يَكُونُ الجَمِيعُ قَدْ اشْتَرَكُوا فِي حَمْلِ الحَجَرِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُ مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ الله ﷺ بِيَدِهِ مِنْ فَوْقِ الثَّوْبِ وَوَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ .

وَبِهَذَا قَضَى مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى الخِلَافِ العَمِيقِ بَيْنَ القَبَائِلِ ، ونَالَ حُظْوَةً وَمَكَانَةً عَظِيمَةً عِنْدَ جَمِيعِ الْعَرَبِ .

عَادَ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ فِي اليَوْمِ العَظِيمِ ، وَمَا لَبِثَ أَنْ تَلَقَّى نَبَأَ مَوْلِدِ ابْنَتِهِ ، فَتَهَلَّلَ لَهُ ، وَابْتَهَجَ بِهِ ، وَدَخَلَ عَلَى زَوْجَتِهِ الْوَفِيَّةِ طَلْقَ المُحَيَّا ، مَسْرُوراً ،



(١) رواه ابن إسحاق ، كما في سيرة ابن هشام (٢٠٨/١) .



فَهَنَّأَهَا بسَلَامَتِهَا ، وَبَارَكَ لَهَا فِى مَوْلُودَتِهَا ، وَدَعَا لَهَا بِالبَرَكَةِ فِيهَا وَفِى ذُرِّيَّتِهَا ، وَبَشَّرَ أَنَّه سَيَكُونُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ لأَنَّهَا وُلِدَتْ فِى يَوْمٍ مُبَارَكٍ كَرِيمٍ أُغْمِدَتْ فِيهِ سُيُوفُ الحَرْبِ بَيْنَ القَبَائِلِ ، وَانْقَضَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ لَا يَعْرِفُ لَهَا نِهَايَةً إِلَّا الخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَأَرَّخَ لَهَا بهَذَا اليَوْمِ العَظِيمِ ، وَأَسْمَاهَا أَبُوهَا (فَاطِمَةَ) وَلَقَّبَهَا بـ (الزَّهْرَاءِ) .

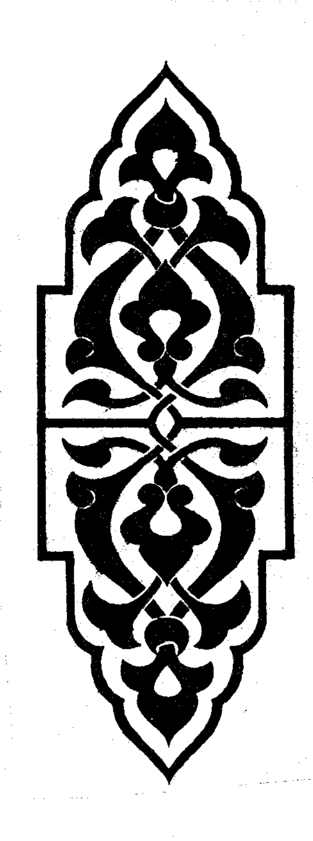
الأَصْــلُ الطَّيِّب

الأَبُ : هُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الهَاشِمِىّ القُرَشِىّ ﷺ ، وَهُوَ غَنِىٌّ عَنِ التَّعْرِيفِ أَصْلًا وَخُلُقاً وَمَعْرِفَةً وَعِلْماً ، إِنَّهُ أَكْرَمُ وَأَشْرَفُ وَأَحَنُّ خَلقِ اللهِ جَمِيعاً .

وَأَمَّا الأُمُّ : فَهِىَ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) العَظِيمَةُ ، مَكَانَتُهَا المَرْمُوقَة فِى مَعْشَرِ قُرَيْشٍ ، عُرِفَتْ بِنُبْلِ الأَخْلَاقِ وَشَرَفِ الأَصْلِ ، تَجْتَمِعُ مَعَ زَوْجِهَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِى أَحَدِ الجُدُودِ القَرِيبِينَ ، كَانُوا يُلَقِّبُونَهَا فِى الجَاهِلِيَّةِ بِعدَّةِ أَلْقَابٍ مِنْهَا : الطَّاهِرَةُ ، وَسَيِّدَةُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ .

وَإِذَا كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى تَكْوِينِ شَخْصِيَّةِ إِنْسَانٍ ، فَإِنَّ هُنَاكَ عَنَاصِرَ وَعَوَامِلَ مُتَعَدِّدَةً ، وَأَهَمُّ هَذِهِ العَنَاصِر ، تَأْثِيرُ الْوِرَاثَةِ ، وَتَأْثِيرُ البِيئَةِ ، وَأَقْوَاهَا هُوَ مَشِيئَةُ اللهِ فِى هِدَايَةِ الإِنْسَانِ إِلَى الطَّرِيقِ السَّوِىِّ ، وَأَن يُوَفِّقَهُ فِى كُلِّ أَعْمَالِهِ .

كَانَتْ وِلَادَةُ فَاطِمَةَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) قَبْلَ البَعْثَة



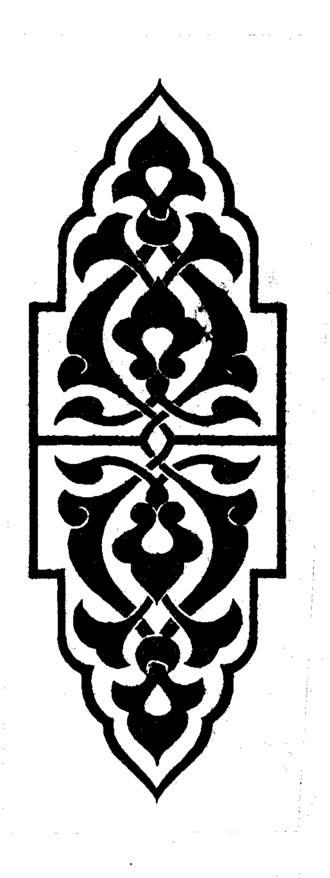
بِحَوَالى خَمْسِ سَنَوَاتٍ ، وَقَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ الْوَحْىُ عَلَى أَبيهَا ﷺ ، وَكَانَتْ طِفْلَةً ذَكِيَّةً ، سَبَقَتْ فِى التَّكْوِينِ أَمْثَالَهَا مِنَ الأَطْفَالِ .

كَانَتْ تَعِيشُ فِى بَحْبُوحَةٍ مِنَ العَيْشِ ، فَالأُمُّ غَنِيَّةٌ ، وَالأَبُ يُتَاجِرُ وَيَرْبحُ ، وَهُمَا عَلَى خَيْرٍ وِفَاقٍ وَحُبٍّ وَإِخْلَاصٍ .

كَانَتْ شَدِيدَةَ الشَّبه بِأَبِيهَا ، تَهْتَمُّ بها بجَانِبِ الأُمِّ أُخْتُهَا الكَبِيرَةُ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عنهَا) ، كَانَتْ تَحْمِلُهَا وَتُدَلِّلُهَا ، وَرُبَّمَا شَارَكَتْهَا أُخْتَاهَا رُقَيَّةُ وَأُمُّ كُلْثُوم (رَضِىَ الله عنهُنَّ) . كَانَتْ الأُمُّ تَفْرَحُ كَثِيراً بِلِقَائِهَا مَعَ أَخَوَاتِهَا الثَّلَاث حِينَمَا تَرَاهَا تَلْعَبُ مَعَهُنَّ وَتَجْرِى وَرَاءَهُنَّ ، فَلَقَدْ كَانَتْ أَصْغَرَهُنَّ .

لكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدُمْ طَوِيلًا ، فَقَدْ تَزَوَّجتْ زَيْنَبُ (رَضِىَ الله عَنهَا) ، وَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِ ابْنِ خَالَتِهَا أَبِى العَاصِ ، وَمِنْ بَعْدِهَا تَزَوَّجتْ رُقَيَّةُ وَأُمُّ كُلْثُوم (رَضِىَ الله عَنهُما) مِنْ ابْنَىْ عَبْدِ الْعُزَّى بْن عَبدِ المُطَّلبِ فَفَارَقَها الأَخَوَاتُ الثَّلَاث .

شَعَرَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهَا) بِالْوَحْدَةِ ، فَأَسْرَعَتْ إِلَى أُمِّهَا خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) تَبثُّهَا أَحْزَانَهَا وَشُعُورَهَا بِبُعْدِ الأَخَوَات عَنْهَا ، رَاحَتْ تَحْتَضِنُ أُمَّهَا وَتَبْكِى ، فَلَمَّا سَأَلَتْهَا أُمُّهَا عَنْ سِرِّ بُكَائِهَا ، قَالَتْ : لَا تَدَعِى أَحَداً يَنْتزِعُنِى مِنْكِ يَا أُمَّاهُ ، وَمِنْ أَبِى ، فَلَسْتُ أُطِيقُ فِرَاقَكُمَا !

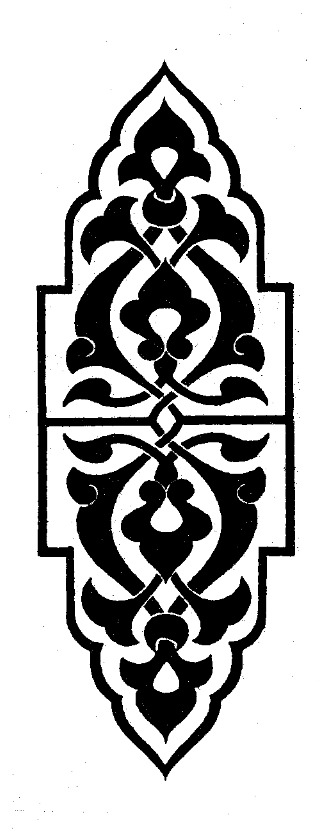


ابْتَسَمَت الأُمُّ الحَنُونُ فِى رِفْقٍ وَحَنَانٍ ، وَضَمَّتْهَا إِلَى صَدْرِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ وَهِىَ تَبْتَسِمُ : لَنْ تَتْرُكِينَا ـــ يَا فَاطِمَة ـــ إِلَّا إِذَا أَرَدتّ .

مَسْئُولِيَّةٌ مُنْذُ الصِّغَر

خَلَا البَيْتُ مِنَ الأَخَوات ، وَتَعَلَّقَتْ بِأُمِّهَا وَأَبِيهَا كَثيراً ، وَجَعَلَتْ مِنْ أَبِيهَا المَثَلَ الأَعْلَى وَالقُدْوَةَ الحَسَنَةَ فِى جَمِيع تَصَرُّفَاتِهَا . ثُمَّ نَزَلَ الوَحْىُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِ النَّاس بِمَا جَاءَ بِهِ وَالإِيمَان بِهِ ، رَأَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهَا) اهْتِمَام الأُمِّ خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عَنهَا) بِأَمْرِ الدَّعْوَة إِلَى اللهِ وَبِمُعَاوَنَةِ زَوْجِهَا فِى كُلِّ الأُمُورِ ، وَالْوُقُوفِ بِجَانِبِهِ والدِّفَاع عَنْهُ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَا عَمِلَتْهُ أَنْ نَادَتْ بَنَاتَهَا الأَرْبَع : زَيْنَب ، وَرُقَيَّةَ ، وَأُمَّ كُلْثُومٍ وَانْضَمَّتْ إِلَيْهِنَّ الصَّغِيرَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهُنَّ) ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُنَّ : (إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ أَبَاكُم بِدِينِ الإِسْلَام ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى الإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ ، فَيَجِبُ أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ المُصَدِّقِينَ وَالمُؤْمِنِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَنَشْهَدُ أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ) ، فَآمَنَّ بِهِ ، وَصَدَّقْنَ بِمَا جَاءَ وَرَدَّدْنَ الشَّهَادَةَ ، ثُمَّ انصَرَفَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا ، وَبَقِيَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهَا) لِتُدَافِعَ عَنْهُ .

★ ★ ★



دِفَاعٌ عَنِ الأَحِبَّةِ

هَجَرَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهَا) مَلَاعِبَ الطُّفُولَةِ ، وَتَرَفَّعَتْ عَنْ مُصَاحَبَةِ الصِّغَارِ ، لتَكُونَ قَرِيبَةً مِنْ أَبِيهَا ، فَإِذَا كَانَ فِى البَيْتِ ، فَإِنَّهَا تَكُونُ قَرِيبَةً مِنْهُ ، تُطِيلُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، وَيَهْفُو قَلْبُهَا لَهُ ، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ البَيْتِ لِيُقَابِلَ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، أَوْ لِيَطُوفَ بِالكَعْبَةِ مَشَتْ وَرَاءَهُ بَعِيدَةً عَنْهُ تَحْرُسُه وَتَرْعَاهُ وَتُدَافِعُ عَنْهُ ، وَإِذَا ذَهَبَ إِلَى أَنْدِيَةِ القَوْمِ ، لِيَعْرِضَ عَلَى النَّاسِ تَوْحِيدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِفْرَادَهُ بالوحْدَانِيَّة ، وَتَرْكَ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ تَسِيرُ خَلْفَهُ ، وَقَدْ تَرُدُّ عَلَى الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ النَّيْلَ مِنْهُ .

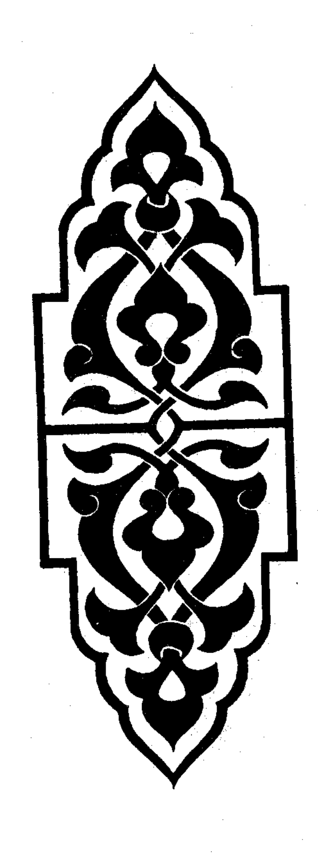
مَشَى ﷺ يَوْماً إِلَى الكَعْبَةِ حتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ، فَمَا أَنْ رَآهُ المُشْرِكُونَ حَتَّى وَثَبُوا عَلَيْهِ ، وَأَحَاطُوا بِهِ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِى تَقُولُ مَا تَهْزَأُ بِهِ مِنْ آلِهَتِنَا ، وَتُسَفِّهُ عُقُولَنَا ، وَتَسْخَرُ مِنْ آبَائِنَا ؟

فَيَقُولُ ﷺ لَهُم : « نَعَمْ أَنَا الَّذِى يَقُولُ ذَلِكَ » !!

فَأَلْقَوْا بالتُّرَابِ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيف ﷺ .

رَاحَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهَا) تَنْفُضُ عَنْهُ الغُبَارَ ، وَتَشْتُمُ أُولَئِكَ الَّذِينَ آذَوْهُ .

وَذَاتَ مَرَّةٍ سَارَتْ خَلْفَهُ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ الحَرَامَ ، وَقَد امْتَلأَ البَيْتُ بِالْمُشْرِكِينَ ، حَتَّى إِذَا خَرّ سَاجِداً للهِ ،

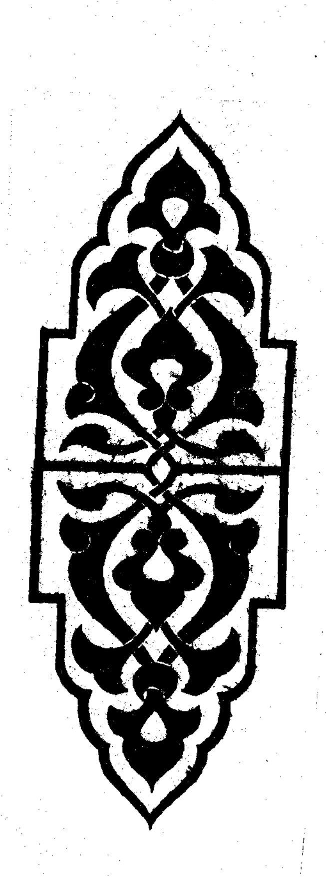


جَاءَ عُقْبَةُ بنُ أَبى مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ ، فَوَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) فَرَفَعَتْهُ ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ .

عِنْدَ ذَاكَ رَفَعَ النَّبِىُّ ﷺ رَأْسَهُ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِى جَهْلِ بن هِشَامٍ ، وَعُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ ابن رَبِيعَةَ ، وَعُقْبَةَ بن أَبِى مُعَيْطٍ ، وَأُبَىّ بنِ خَلَفٍ »[1] .

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَخَافُونَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِىِّ ﷺ ، فَلَمَّا دَعَا عَلَيْهِمْ أَصَابَهُمْ وُجُومٌ ، فَغَضُّوا أَبْصَارَهُمْ حَتَّى انْتَهَى مِنْ صَلَاتِهِ ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ تَصْحَبُهُ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) .

لَقَدْ قَامَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) بِدَوْرِهَا الكَبِيرِ خِدْمَةً للدَّعْوَةِ ، فَدَافَعَتْ عَنْ أَبِيهَا خَيْرَ دِفَاعٍ ، حَتَّى إِذَا مَاتَتْ أُمُّهَا ضَاعَفَتْ الجَهْدَ وَتَحَمَّلَتْ العِبْءَ الأَكْبَرَ ، فَصَابَرَتْ وَرَابَطَتْ ، وَوَقَفَتْ بِجِوَارِ وَالِدِهَا العَظِيمِ ﷺ تُخَفِّفُ عَنْهُ مَا يَلْقَاهُ مِنَ الأَعْدَاءِ .



مُقَاطَعَةٌ وَعَدَاء

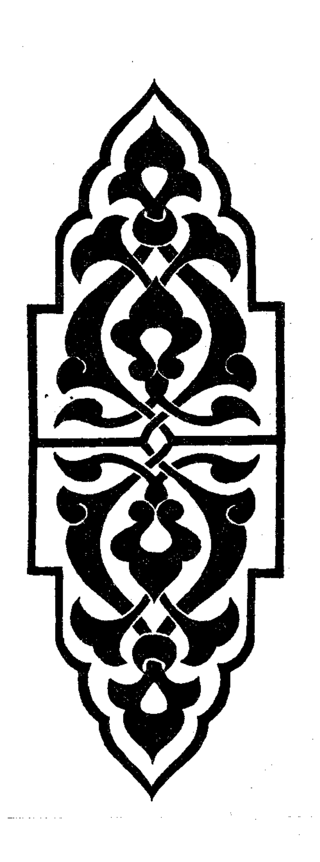
لَمْ تَسْتَقِرَّ حَيَاةُ السَّيِّدَة فَاطِمَة (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) فِى مَكَّةَ ، فَقَدْ تَحَمَّلَتْ الكَثِيرَ مِنَ الجَهْدِ وَالتَّعَبِ ، وَكَانَ دَوْرُ مُقَاطَعَةِ مُشْرِكِى مَكَّةَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الأَهْلِ ، فَقَدْ حَاصَرُوا الْمُسْلِمِينَ فِى شِعْبِ بَنِى هَاشِمٍ ، فَانْقَطَعَتْ صِلَتُهُمْ بِالخَارِجِ فَلَا يَبِيعُونَهُمْ

(١) متفق عليه : رواه البخارى ك : التفسير (٤٥٩٠) ، ومسلم ك : المساجد (٦٧٥) .

شَيْئاً ، وَلَا يَشْتَرُونَ مِنْهُمْ شَيْئاً ، وَلَا يَتَزَوَّجُونَ مِنْهُمْ وَلَا يُزَوِّجُونَهُمْ ، حَتَّى الطَّعَامَ مَنَعُوهُ عَنْهُمْ .

أَمْسَكَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) بِيَدِ أَبِيهَا ﷺ ، وَدَخَلَتْ مَعَهُ وَمَعَ أُمِّهَا السَّيِّدَة خَدِيجَة (رَضِىَ الله عَنهَا) وَجَمْعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الشِّعْبَ ، وَمَكَثُوا فِيهِ أَكْثَر مِنْ سَنَتَيْنِ ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ فَكَّ هَذَا الحِصَارِ الغَاشِم إِلَى أَنْ مَنَّ الله عَلَيْهِمْ ، فَوَقَعَ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ ، أَعْقَبَهُ الإِفْرَاجُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ .

أَثَّرَ هَذَا الحِصَارُ فِى صِحَّةِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ (رَضِىَ الله عَنهَا) ، فَقَدْ تَعَرَّضَتْ لِلْهُزَالِ وَالمَرَضِ الشَّدِيدِ فَخَرَجَتْ إِلَى بَيْتِهَا تَعْتَمِدُ عَلَى كَتِفَىْ ابْنَتَيْهَا فَاطِمَةَ وَأُمِّ كُلْثُوم (رَضِىَ الله عَنهُمَا) ، وَلَمْ تَدُمْ حَيَاتُهَا طَوِيلًا فِى بَيْتِهَا ، وَلَاقَتْ رَبَّهَا ، وَبَعْدَهَا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ عَمُّ النَّبِىِّ ﷺ ، وَاشْتَدّ أَذَاهُمْ لِلنَّبِىِّ ﷺ وَعَانَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهَا) الكَثِيرَ مِنَ الإِهَانَةِ وَالتَّعْذِيبِ حَتَّى أَمَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالْهِجْرَة .

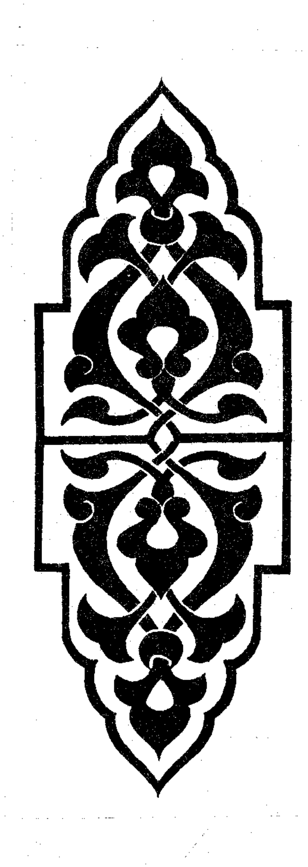


الهِجْـرَةُ إِلَى الـمَـدِينَةِ

هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عَنهُ) ، وَتَتَابَعَتْ هِجْرَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا أَن اسْتَقَرَّ بِهِمُ المَقَامُ حَتَّى أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ مَن يَأْتِى بِفَاطِمَةَ وَأُخْتِهَا أُمِّ كُلْثُومٍ (رَضِىَ الله عَنهُمَا) ... وَيَصْحَبُهُمَا إِلَى المَدِينَةِ ، وَمَا يَزَالُ الْمُشْرِكُونَ يُؤْذُونَ أَصْحَابَ النَّبِىِّ ﷺ وَأَوْلَادَه فِى مَكَّةَ .

فَلَقَدْ نَخسَ (الحُوَيْرِثُ القُرَشِيّ) الدَّابَّة الَّتِى كَانَتْ تَحْمِلُ السَّيِّدَة فَاطِمَة وَأُخْتهَا أُمّ كُلْثُومٍ (رَضِىَ الله عَنهُمَا) ، فَرَمَتْ بِهِمَا الدَّابَّةُ فِى طَرِيقِ الصَّحْرَاءِ وَهُمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَأَثَّرتْ عَلَى سَاقَيْهِمَا ، فَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا حَدَثَ مِنَ الحُوَيْرِثِ حَزنَ حُزْناً شَدِيداً ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ فَعْلَتَهُ القَبِيحَةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَدِّبَهُ ، فَاخْتزَنَهَا لَهُ ، حَتَّى كَانَ يَوْمُ الفَتْحِ العَظِيم (فَتْح مَكَّةَ) ، أَشَارَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِقَتْلِ الحُوَيْرِثِ حَتَّى وَلَوْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ مِنْ جرَّاءِ فَعْلَتِهِ الذَّمِيمَةِ ، فَلَمْ يُسْرِعْ الحُوَيْرِثُ إِلَى الاعْتِذَارِ ، فَبَحَثَ عَنْهُ عَلِيٌّ بنُ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ الله عنهُ) حتَّى وَجَدَهُ قَدْ قُتِلَ .

وَصَلَتْ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهَا) إِلَى المَدِينَةِ وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا وَسَطَ مُجْتَمَعٍ مُسْلِمٍ يُحِيطُ بِهَا الهُدُوءُ وَالسَّكِينَةُ ، وَرَأَتِ المُسْلِمِينَ وَهُمْ يَسْتَعِدُّونَ لِقِتَالِ المُشْرِكِينَ فِى غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى ، ثُمَّ هَنَّأَتْهُمْ بِالْعَوْدَةِ مُنْتَصِرِينَ ، فَزَادَ ذَلِكَ مِنْ طَمْأنِينَتِهَا وَهُدُوئِهَا ، وَاسْتَعَدَّتْ لِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ .



خِطْبَةُ الزَّهْرَاء

كَانَتِ العَادَةُ فِى الوَسَطِ العَرَبِيّ أَنْ تُخْطَبَ الفَتَاةُ وَهِىَ غَالِباً فِى الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ ، مِنَ العُمْرِ أَوْ فِى الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ وَلَكِنَّ فَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عَنهَا) فِى عُمْرِهَا هَذَا لَمْ تَكُن الأُمُورُ مُسْتَقِرَّةً حَتَّى يَتَفَرَّغَ الرِّجَالُ لِلْخِطْبَةِ

وَالزَّوَاجِ ، فَقَدْ كَانَ بَيْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَنَقَّلُ مِنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ إِلَى آخَرَ عَظِيمٍ ، وَأَيْضاً فَقَدْ فَقَدَ هَذَا البَيْتُ رَبَّتَهُ وَصَاحِبَتَه السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) أُمَّ فَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) وَأَعْقَبَهَا وَفَاةُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ أَبِى طَالِبٍ ، وَبِمَوْتِهِمَا اشْتَدَّ الأَذَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ جَاءَ الأَمْرُ بِالْهِجْرَةِ مِن مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ ، وَمَا كَادَتِ الأُمُورُ تَسْتَقِرُّ حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى .

هَذِهِ الأَحْدَاثُ شَغَلَتِ المُسْلِمِينَ ، وَشَأْنُ الدَّعْوَة طَغَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى بَلَغَتْ فَاطِمَةُ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ ، ثُمَّ تَفَرَّغَ المُسْلِمُونَ لِبَعْضِ شُئُونِهِمْ بِالْمَدِينَةِ ، وَرَأَيْنَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق (رَضِيَ اللهُ عَنهُ) يُرِيدُ أَن يَكُونَ لَهُ شَرَفُ مُصَاهَرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ لِيَخْطُبَ فَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) .

فَقَالَ لَهُ ﷺ : « انْتَظِرْ بِهَا القَضَاءَ »[1] .

ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ (رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا) .

فَقَالَ عُمَرُ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : (رَدَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ) !

ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعُمَرَ : (اُخْطُبْ فَاطِمَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) .

فَخَطَبَهَا ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِأَبِى بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) : « انْتَظِرْ بِهَا القَضَاءَ » .

---

(١) رواه ابن سعد فى « الطبقات الكبرى » (١٢/٨) .

عَلِيٌّ بِنُ أَبِى طَالِبٍ يَخْطُبُ فَاطِمَةَ
(رَضِىَ اللَّـهُ عَنهُمَـا)

عَلِمَ النَّاسُ بِمَا كَانَ مِنْ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ (رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا) ، فَقَالَ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ لِعَلِىّ بنِ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : عِنْدَكَ فَاطِمَةُ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) فَأْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَسَلِّمْ عَلَيْـهِ ، وَكَلِّمْهُ .

ذَهَبَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عَنهُ) إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَمَا كَادَ عَلِىٌّ (رَضِىَ اللهُ عنـهُ) يَجْلِسُ حَتَّى قَالَ لَهُ ﷺ : « مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَبِى طَالِبٍ ؟ » [١] .

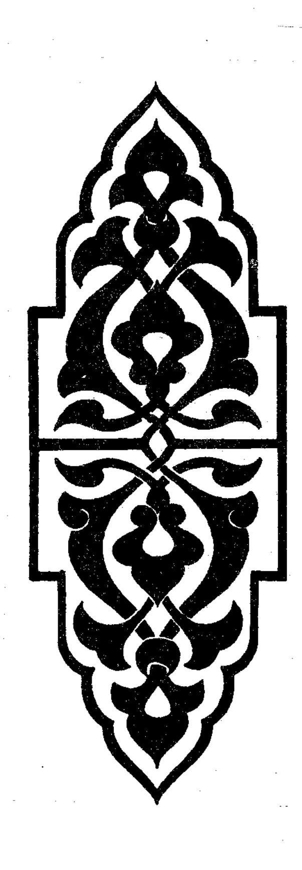
فَذَكَرَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ (رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا) ، فَقَالَ لَهُ ﷺ : « مَرْحَباً وَأَهْلًا » وَلَمْ يَزِدْ .

خَرَجَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) إِلَى أُولَئِكَ الجَمْعِ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ ، فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟

قَالَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : مَا أَدْرِى غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِى : مَرْحَباً وَأَهْلًا .

قَالُوا : أَيَكْفِيكَ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ إِحْدَاهُمَا : أَعْطَاكَ الأَهْلَ ، وَأَعْطَاكَ المَرْحَبَ ؟

فِى اليَوْمِ التَّالِى ، وَقَفَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) قَرِيباً مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَلْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : (أَرَدتُّ أَنْ أَخْطبَ فَاطِمَةَ يَا رَسُولَ اللهِ) .



---

(١) انظر هذه الرواية فى : طبقات ابن سعد (١١/٨) .

فَالْتَفتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِفْقٍ وَحَنَانٍ ثُمَّ سَأَلَهُ : « وَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ » .

رَدَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ (رَضِيَ الله عنهُ) قَائلًا : (لَا ، يَا رَسُول الله) .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَأَيْنَ دِرْعُكَ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ يَوْمَ بَدْرٍ ؟ » .

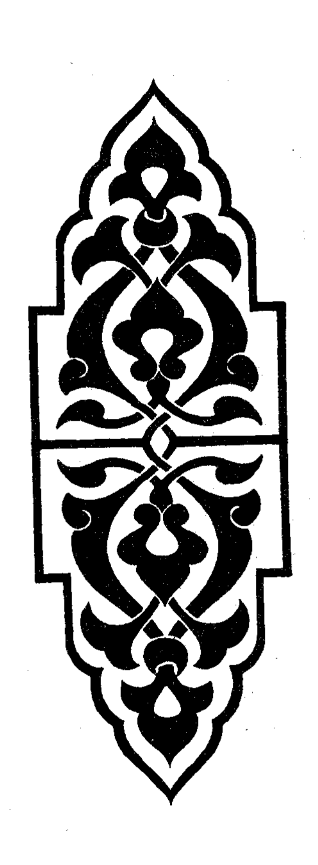
قَالَ عَلِيٌّ (رَضِيَ الله عنهُ) : (هِيَ عِنْدِي يَا رَسُولَ الله) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ائْتِ بِهَا »[1] .

جَاءَ عَلِيٌّ (رَضِيَ الله عنهُ) بالدِّرْعِ ، فَأَمَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَن يَبِيعَهَا لِيُجَهِّزَ الْعَرُوسَ بِثَمَنِهَا .

عَلِمَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ (رَضِيَ الله عنهُ) بِمَا كَانَ بَيْنَ الرَّسُول ﷺ وَعَليّ بنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ الله عنهُ) فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ ابنُ عَفَّانَ ، وَبَالَغَ فِي الثَّمَنِ لِيُمَكِّنَهُ مِن دَفْعِ مَا يَلِيقُ بِصَدَاقِ الزَّهْرَاءِ (رَضِيَ الله عنهَا) ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَمِائَةٍ وَسَبْعِينَ دِرْهَماً ، فَدَفَعَهَا عَلِيٌّ (رَضِيَ الله عنهُ) كُلَّها صَدَاقاً . وَتَمَّتِ الخِطْبَةُ .

أَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ (رَضِيَ الله عنهُ) مَبْلَغاً لِيَشْتَرِي بِبَعْضِهِ طِيباً وَعِطْراً ، ثُمَّ دَفَعَ البَاقِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) لِتَشْتَرِيَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ العَرُوسَانِ مِن مَتَاعٍ وَغَيْرِهِ .



---

(١) طبقات ابن سعد (١٣/٨) .

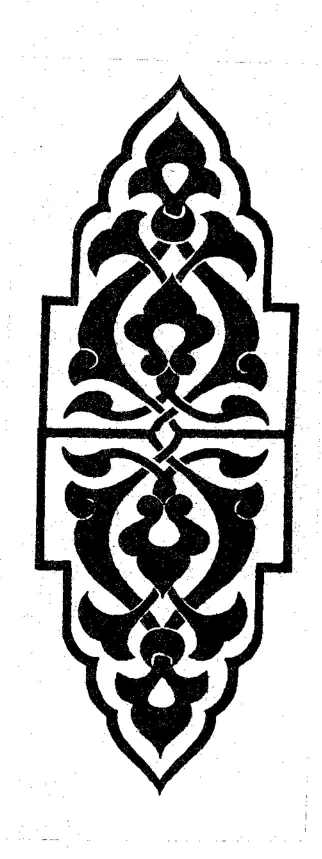


الحَفْلُ السَّعِيد

قَبْلَ حَفْل عَقْدِ الزَّوَاجِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِخَادِمِهِ أَنَس بنِ مَالِكٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : انْطَلِقْ وَادْعُ لِى أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَطَلْحَة ، وَالزُّبَيْر وَغَيْرهُم مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ .

دَعَا أَنَسٌ (رَضِىَ الله عنهُ) جَمْعاً كَبِيراً مِنَ المُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ خُطْبَته المَعْرُوفَة ، وَكَانَ مِنْهَا :

« الحَمْدُ لله المَحْمُودِ بِنِعْمَتِهِ ، المَعْبُودِ بِقُدْرَتِهِ ، المُطَاعِ بِسُلْطَانِهِ ، المَهْرُوبِ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابِهِ ، النَّافِذِ أَمْرُهُ فِى أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ، الَّذِى خَلَقَ الخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ... إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ المُصَاهَرَةَ نَسَباً لَاحِقاً ، وَأَمْراً مُفْتَرضاً ، وَحُكْماً عَادِلًا ، وَخَيْراً جَامِعاً ... فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ **وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً** ﴾[1] ... ثُمَّ إِنَّ الله تَعَالَى أَمَرَنِى أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ ، وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّى زَوَّجْتُ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ عَلَى أَرْبَعمِائَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ ، إِنْ رَضِىَ بِذَلِكَ عَلَى السُّنَّةِ القَائِمَة والفَرِيضَةِ الوَاجِبَةِ ، فَجَمَعَ الله شَمْلَهُمَا ، وَبَارَكَ لَهُمَا ، وَأَطَابَ نَسْلَهُمَا ، وَجَعَلَ نَسْلَهُمَا مَفَاتِيحَ الرَّحْمَةِ ، وَمَعَادِنَ الحِكْمَة ،



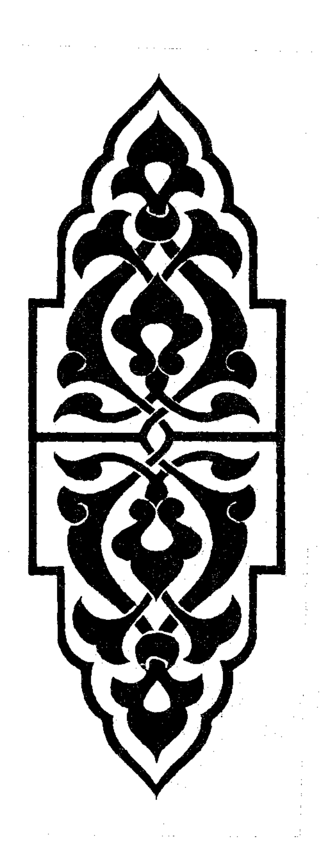
---

(١) سورة الفرقان : الآية (٥٤) .

وَأَمْنَ الأُمَّةِ ، أَقُولُ قَوْلِى هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِى وَلَكُمْ » (١) .

قَالَ عَلِىٌّ (رَضِىَ اللهُ عَنهُ) : (رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللهِ) ، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً شُكْراً لله ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بَارَكَ اللهُ لَكُمَا وَعَلَيْكُمَا ، وَأَسْعَدَ جَدَّكُمَا ، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا الكَثِيرَ الطَّيِّبَ » (٢) .

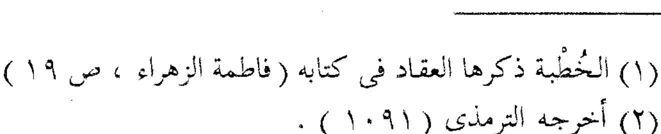
ثُمَّ وُضِعَتْ أَطْبَاقُ التَّمْرِ ، فَتَنَاوَلَ مِنْهَا الحَاضِرُونَ مَا شَاءَ اللهُ لَهُمْ ، وَكَانَ هَذَا الزَّوَاجُ بَعْدَ الهِجْرَةِ ، وَبَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ .



عَظَمَةٌ وَبَسَاطَة

إِنَّ العَظَمَةَ فَضِيلَةٌ تَحَلَّتْ بِهَا السَّيِّدَة فَاطِمَة (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَكَيْفَ لَا يَتجلَّى لَهَا ذَلِكَ ، وَهِىَ بِنْتُ النَّبِىِّ ﷺ ، وَتَرْتَفعُ ، تِلْكَ العَظَمَة عِنْدَمَا تَتَسَرْبَلُ بِثِيَابِ البَسَاطَةِ ، وَتَتَحلَّى بِزِىِّ التَّوَاضُعِ .

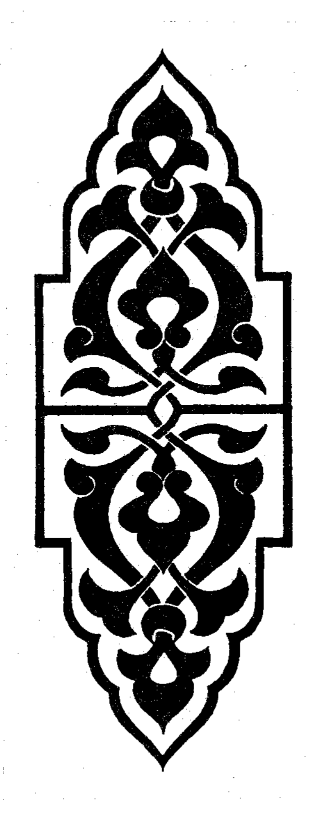
وَتَلُوحُ لَنَا بَسَاطَةُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَة (رَضِىَ الله عنهَا) ، عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى جِهَازِهَا الَّذِى بَلَغَ مِنَ البَسَاطَةِ مَكَاناً كَبِيراً ، وَإِنْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى شَىْء فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى ذَاكَ التَّوَاضُعِ وَتِلْكَ العَظَمَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ جِهَازُهَا كَجِهَازِ بَنَاتِ العُظَمَاءِ ، وَالكِبَارِ فِى زَمَنِهَا ، رَغْمَ أَنَّهَا بِنْتُ أَعْظَمِ مَنْ وَطِئَتْ قَدَمَاهُ الأَرْضَ ، وَزَوْجَةُ عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِب (رَضِىَ الله عنهُمَا) .


(١) الخُطْبة ذكرها العقاد فى كتابه (فاطمة الزهراء ، ص ١٩) .
(٢) أخرجه الترمذى (١٠٩١) .

فَلَمْ يَكُنْ سَرِيرُهَا مِنَ النُّحَاسِ المُطَعّمِ بِالفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، الَّذِى كُسِىَ بالْحَرِيرِ ، وَالدِّيبَاجِ ، وَوَسَائِد قَدْ حُشِيَتْ بِرِيشِ النَّعَامِ ، وَلَمْ تَتَسَرْبَلِ الحَرِيرَ ، أَو تَقْتَنى الذَّهَب وَالفِضَّة ، وَإِنَّمَا كَانَتْ عَلَى تِلْكَ العَظَمَةِ ، وَهَذَا الشَّرَفِ كَأَقَلِّ فتيَاتِ قُرَيْشٍ تَوَاضُعاً ، فَكَانَ سَرِيرُهَا مَلْفُوفاً مِنَ الخُوصِ ، وَسَائِدُهُ مِنَ القَشِّ ، وَقِرْبَة مِنَ الجِلْدِ ، وَجَرَّةٌ مِنَ الفَخَّارِ ، وَقَدَحٌ مِنَ الخَشَبِ ، وَفِرَاش حُشِىَ مِنَ اللِّيفِ .

فَبِاللهِ عَلَيْكَ هَلْ هُنَاكَ بَسَاطَةٌ بَعْدَ هَذِهِ ؟! ، وَرَغْم ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ : هَذَا جِهَازُ فَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) بِنْت النَّبِىّ ﷺ ، وزَوْج سَيِّد شَبَابِ مَكَّةَ وَالإِسْلَامِ عَلِىّ ابْنِ أَبِى طَالِب (رَضِىَ الله عنهُ) ، فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذَا المَثَل المَاثِل فِى بِنْتِ النَّبِىِّ ﷺ ؟!

زِفَافُ البَتُول



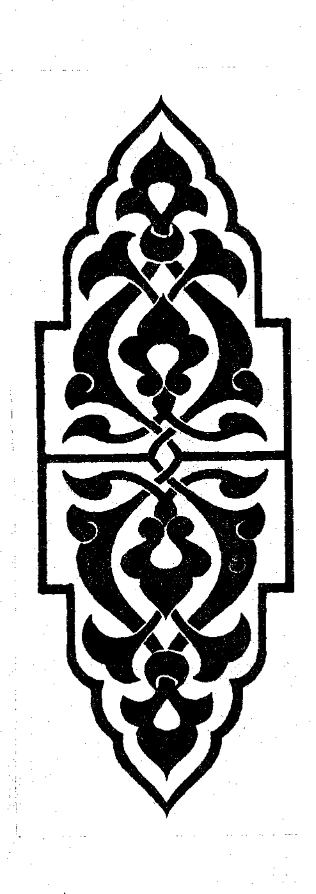
أَرْسَلَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ بالكَثِير مِنَ الهَدَايَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَالْبُرِّ ، والسَّمْنِ، والتَّمْرِ، وَالأَغْنَامِ ، وَالْبَقَر .

أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِطَحْنِ الحُبُوبِ وَذَبْحِ البَقَرِ وَالأَغْنَامِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الطَّعَامِ ، وَكَانَتْ دَعْوَةً مَفْتُوحَةً ، فَحَضَرَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ فِى المَدِينَةِ ، قِيلَ : إِنَّ عَدَدَهُمْ كَانَ يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَاف .

اقْتَصَرَ طَعَامُ الوَلِيمَةِ عَلَى الثَّرِيدِ المُكَوَّنِ مِنَ الخُبْزِ وَاللَّحْمِ .

رَكِبَتْ الزَّهْرَاءُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَمْسَكَ بِلِجَامِهَا سَلْمَانُ الفَارِسِىُّ ، وَسَارَ خَلْفَهَا أَبُوهَا وَمَعَهُ الحَمْزَةُ ، وَجَعْفَرُ ، وَعُقَيْلٌ وَأَبُو طَالِبٍ ، شَاهِرِينَ السُّيُوفَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى بَيْتِ عَلِىّ بنِ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُم) .

تَابَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِحْلَتَهُ مَعَ العَرُوسَيْنِ ، حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَكَانِهِمَا ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ بَعْض آى الذِّكْرِ الحَكِيمِ ، ثُمَّ أَمَرَ العَرُوسَيْنِ أَن يَشْرَبَا مِنْهُ ، وَتَوَضَّأَ بالبَاقِى ، وَنَثَرَهُ عَلَى رَأْسَيْهِمَا ، ثُمَّ دَعَا لَهُمَا قَائِلًا : « اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا ، وَبَارِكْ لَهُمَا فِى نَسْلِهِمَا » ، ثُمَّ تَرَكَهُمَا وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ تَرَكَ ابْنَتَهُ وَحَبِيبَتَهُ عِنْدَ أَقْوَى النَّاسِ إِيمَاناً ، وَأَكْثَرِهِمْ عِلْماً ، وَأَفْضَلِهِمْ أَخْلَاقاً ، وَأَعْلَاهُمْ نَفْساً ...



البَيْتُ الجَدِيد

عَاشَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ مَعَ سَيِّدِنَا عَلِىٍّ (رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا) عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهَا وَشَرَفِ نَسَبِهَا عِيشَةً فِيهَا قَسْوَةٌ وَمَشَقَّةٌ ، فَقَد أَدَارَتْ الرَّحَىٰ حَتَّى أَثَّرَتْ فِى يَدِهَا ، وَاسْتَقَتْ بالقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَتْ فِى نَحْرِهَا ، وَكَنَسَتِ البَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا ، هَذَا وَقَدْ كَفَاهَا زَوْجُهَا الخِدْمَةَ خَارِجَ البَيْتِ .

ثُمَّ قَالَ لِأُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَد بْنِ هَاشِمٍ : اكْفِى بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الخِدْمَةَ خَارِجَ البَيْتِ ، وَسِقَايَةَ

الـمَاءِ وَالـحَاجَةِ ، وَتَكْفِيكَ العَمَل فِى البَيْتِ مِنَ العَجِينِ وَالـخَبْزِ وَالكَنْس .

وَلَـمَّا عَلِمَ عَلِيٌّ (رَضِىَ الله عَنهُ) أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَد جَاءَهُ خَدَمٌ ، قَالَ لِفَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) : لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِيهِ خَادِماً ؟

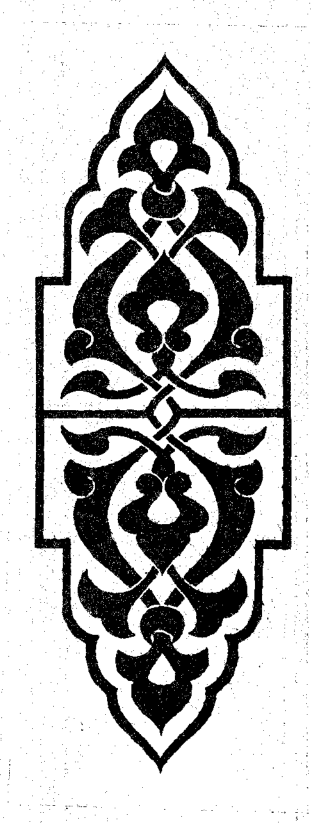
فَأَتَتْهُ ... فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَا جَاءَ بِكِ يَا بُنَيَّةُ ؟ » .

قَالَتْ: جِئْتُ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ ، وَاسْتَحْيَتْ أَنْ تَسْأَلَهُ ، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الغَدِ ، فَتَحَدَّثَ مَعَهَا ، ثُمَّ قَالَ : « مَا حَاجَتُكِ ؟ » فَسَكَتَتْ .

فَقَالَ عَلِىٌّ (رَضِىَ الله عنهُ) : أَنَا أُحَدِّثُكَ يَا رَسُولَ الله : أَدَارَتْ الرَّحَى حَتَّى أَثَّرَتْ فِى يَدِهَا ، وَحَمَلَتِ الْقِرْبَة حَتَّى أَثَّرَتْ فِى نَحْرِهَا ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الـخَدَمُ أَمَرْتُهَا أَنْ تَأْتِيكَ فَتَسْتَخْدِمُهَا خَادِماً يَقِيهَا التَّعَب ، وَمَا هِىَ فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ .

فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمَا ، وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ [1] تُطْوَى بُطُونُهُم ، لَا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنِّى أَبِيعُهُمْ ، وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ » [2] .

رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ يُفَكِّرُ فى أَمْرِهِمَا ...



---

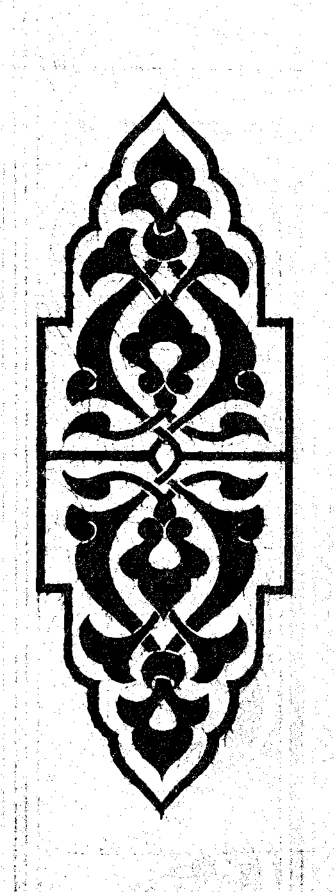
(١) **أَهْلُ الصُّفَّةِ** : جَمَاعَةٌ مِنَ الـمُسْلِمِينَ جَلَسُوا فِى الـمَسْجِدِ لِلْعِبَادَةِ وَلَيْسَ لَهُمْ عَمَلٌ يَعْمَلُونَهُ .

(٢) رواه الطحاوى فى معانى الآثار (٢٣٣/٣) ، وابن سعد فى الطبقات (١٩/٨) .

ثُمَّ أَتَاهُمَا وَقَدْ تَغَطَّيَا بِقَطِيفَتِهِمَا إِذَا غَطَّيَا أَقْدَامَهُمَا ، تَكَشَّفَ رَأْسَاهُمَا فَتَأَثَّرَ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : مَكَانَكُمَا ، أَلَا أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي ؟

فَقَالَا (رَضِيَ اللهُ عَنهُما) : بَلَى .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تُسَبِّحَانِ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْراً ، وَتَحْمَدَانِ عَشْراً ، وَتُكَبِّرَانِ عَشْراً ، وَإِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا تُسَبِّحَانِ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَتَحْمَدَانِ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ، وَتُكَبِّرَانِ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ... » ، ثُمَّ وَدَّعَهُمَا وَمَضَى ، فَمَا زَالَتْ فَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا) يُوَاظِبَانِ عَلَى تَرْدِيدِهَا طُولَ حَيَاتِهِمَا .



خِلَافُ الأَحِبَّة

كَانَ أَحْيَاناً يَقَعُ بَيْنَ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ (رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا) شَيءٌ مِنَ الخِلَافِ ، وَكَثِيراً مَا يَكُونُ سَبَبُهُ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عَنهُ) .

فَقَدْ قَالُوا عَنْهُ : (كَانَ فِيهِ شِدَّةٌ أَقْرَب أَنْ يَكُونَ صَرَامَة ، وَخُشُونَةٌ تُوشِكُ أَنْ تَشْتَبِه بِالْغِلْظَةِ ، وَحَزْمٌ يَكَادُ يَكُونُ صَلَابَةً) .

وَكَانَتْ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) فِي حَاجَةٍ إِلَى يَدٍ حَانِيَةٍ رَقِيقَةٍ تَأْسُو جِرَاحَهَا ، وَتُنْسِيهَا مَا لَقِيَتْ فِي مُسْتَهَلِّ صِبَاهَا مِن مَتَاعِبَ وَآلَامٍ فِي حَيَاتِهَا وَهِيَ فِي مَكَّةَ ...

فَمَا يَكَادُ يَعْلَمُ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِمَا

حَتَّى يُسْرِعَ إِلَيْهِمَا لِيَقْضِيَ عَلَى الخِلَافِ الَّذِى يَقَعُ بَيْنَهُمَا ، وَيُحَاوِلُ جَهْدَهُ أَن يَرُدَّهُمَا إِلَى الصَّوَابِ .

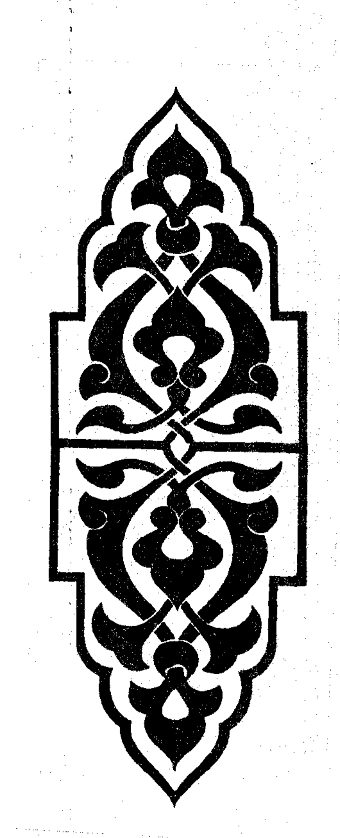
رُوِىَ أَنَّهُ ﷺ رُئِىَ ذَاتَ مَسَاءٍ وَهُوَ يَسْعَى إِلَى دَارِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) بَادِىَ الهَمِّ وَالْقَلَقِ ، فَأَمْضَى وَقْتاً هُنَاكَ ، ثُمَّ خَرَجَ ، وَوَجْهُهُ الكَرِيمُ يَفِيضُ بِشْراً ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ : (يَا رَسُولَ اللهِ ، دَخَلْتَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ ، وَخَرَجْتَ وَنَحْنُ نَرَى البِشْرَ فِى وَجْهِكَ) !

فَأَجَابَ ﷺ : « وَمَا يَمْنَعُنِى وَقَدْ أَصْلَحْتُ بَيْنَ أَحَبِّ اثْنَيْنِ إِلَيَّ » ؟!

كَانَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) أَحْيَاناً تُهَدِّدُ بِأَنْ تَشْتَكِى عَلِيًّا (رَضِىَ اللهُ عَنهُ) إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَمَا يَضِيقُ بِهَا الحَالُ ، قَالَتْ لَهُ مَرَّةً : (وَاللهِ لَأَشْكُونَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ...) .

ثُمَّ خَرَجَتْ وَخَرَجَ عَلِيٌّ (رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا) فِى إِثْرِهَا حَتَّى جَاءَتْ أَبَاهَا فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا لَاقَتْ مِنْ زَوْجِهَا ... وَلَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ يُلَطِّفُ بَيْنَهُمَا بِالْكَلِمَةِ الحُلْوَةِ ، وَيَدْعُوهُمَا إِلَى التَّحَلِّى بالصَّبْرِ وَالمَوَدَّةِ .

★ ★ ★



مَعَـزَّةٌ وَحُبٌّ

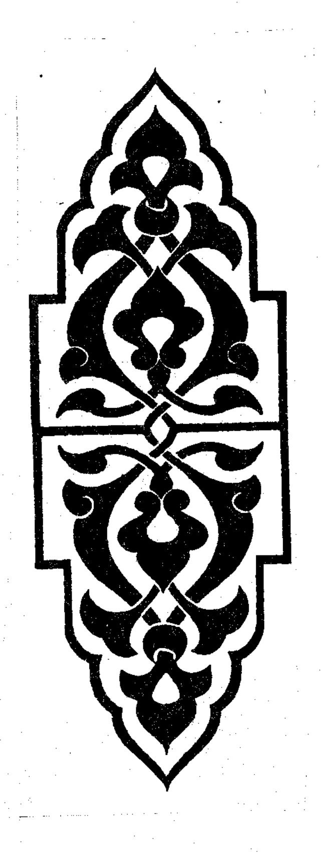
كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ فَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) حُبًّا كَثِيراً ، وَلَمْ يَكُنْ حُبُّهُ لَهَا لِأَنَّهَا ابْنَتُهُ فَحَسْب ، بَلْ لأَنَّهَا كَانَتْ قَوِيَّةَ الإِيمَانِ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، مُحَافِظَةً عَلَى شَعَائِرِ دِينِهَا ، وَلأَنَّهَا زَاهِدَةٌ فِي كُلِّ مَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مِن مَظَاهِرَ مُبْتَغِيَةً وجهَ اللهِ تَعَالَى .

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ وَابْتَعَدَ عَن المَدِينَةِ ، وَعَن رُؤْيَةِ فَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) أَيَّاماً ، وَقَدِمَ مِن سَفَرِهِ أَن يَأْتِي فَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) فَيَدْخُلُ عَلَيْهَا ، فَتَحِنُّ إِلَيْهِ مُرَحِّبَةً ، وَتُقَبِّلُ يَدَهُ .

وَفِي إِحْدَى السَّفَرِيَّاتِ ، عَادَ إِلَى المَدِينَةِ ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) قَد اشْتَرَتْ لِنَفْسِهَا قِلَادَةً وَقُرْطَيْنِ مِنَ الفِضَّةِ ، وَوَضَعَتْ سِتَاراً عَلَى بَابِ غُرْفَتِهَا ذَا أَلْوَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ .

ذَهَبَ كَعَادَتِهِ لِكَيْ يَزُورَ ابْنَتَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ اسْتَاءَ مِمَّا رَأَى ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً ، وَأَحَسَّتْ فَاطِمَةُ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) مِمَّا رَأَتْ فِي عَيْنَيْهِ ﷺ ، وَفَهِمَتْ مَا يَرَاهُ وَيَقْصِدُهُ .

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ، نَزَعَتِ القِلَادَةَ وَالْقُرْطَيْنِ مِنْ أُذُنَيْهَا وَحَلَّتِ السِّتَارَةَ المُعَصْفَرَةَ ، وَأَعْطَتْ كُلَّ ذَلِكَ لِشَخْصٍ وَقَالَتْ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ



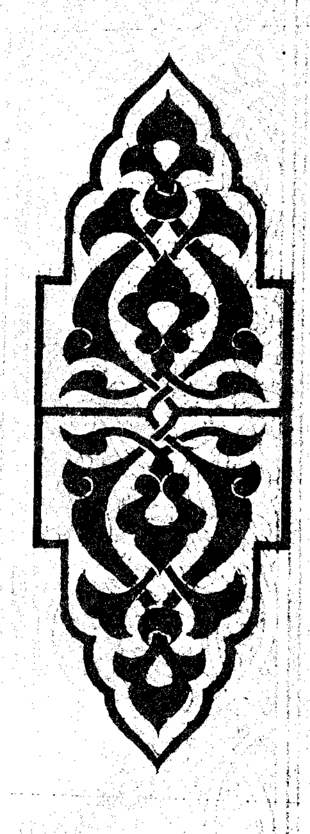
وَقُلْ لَهُ : فَاطِمَةُ تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَتَقُولُ لَكَ : اجْعَلْ هَذَا فِى سَبِيلِ اللهِ .

ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَمَا كَادَ يَسْمَعُ مِنْهُ مَا قَالَتْهُ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عَنهَا) حَتَّى قَالَ : قَدْ فَعَلَتْ ! ... فِدَاهَا أَبُوهَا ... فِدَاهَا أَبُوهَا ... لَيْسَتِ الدُّنْيَا من مُحَمَّدٍ ﷺ ... وَلَا من آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ ...

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِى بَابَ فَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عَنهَا) وَزَوْجِهَا كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَيَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ ، ثُمَّ يَقُولُ : الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ﴿ ... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ (١) .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِىٍّ (رَضِىَ الله عَنهُ) مَرَّةً : « فَاطِمَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَعَزُّ إِلَيَّ مِنْهَا » .

كَانَ لِفَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عَنهَا) مَنْزِلَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَكَانَ يَضْرِبُ بِهَا المَثَلَ لِلنَّاسِ . فَحِينَمَا أَرَادَ أَن يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ قِيمَةَ العَمَلِ عِنْدَ اللهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عِنْدَ اللهِ شَىْءٌ إِلَّا العَمَلَ بِمَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ ضَرَبَ المَثَلَ بـ (فَاطِمَةَ رَضِىَ الله عَنهَا) فَقَالَ ﷺ : « يَا فَاطِمَةُ بِنْت مُحَمَّدٍ ﷺ اعْمَلِى ، فَلَن أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً » (٢) .

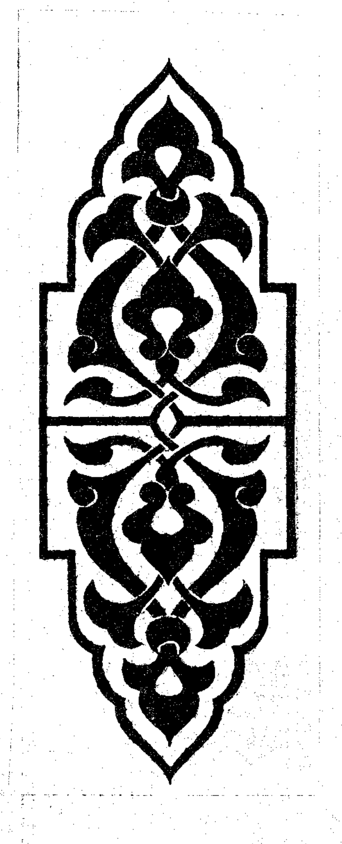


---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٣٣) .

(٢) البخارى (٤ — ٨) .

وَلَمَّا سَرَقَت امْرَأَةٌ مِن قُرَيشٍ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْ ، وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَن يُنَفِّذَ فِيهَا حَدَّ السَّرِقَةِ فَتُقْطَعُ يَدُهَا ، فَاسْتَشْفَعُوا بِأُسَامَةَ بن زَيْدٍ لِيَشْفَعَ فِيهَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ ، لَكِنَّهُ رَدَّهُ وَقَالَ : « أَتُكَلِّمُنِى فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ، وَاللهِ لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا »[١] .



الأَحْفَـــاد

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ هُوَ الَّذِى يَخْتَارُ أَسْمَاءَ أبناء ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عَنهَا) فَقَد اخْتَارَ اسْمَ الحَسَن (رَضِى الله عنهُ) لابْنِهَا البِكْر الَّذِى وُلِدَ فِى السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الهِجْرَةِ ، وَرَزَقَهَا الله بابْنٍ ثَانٍ فَأَسْمَاهُ ﷺ الحُسَيْنَ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ بَعْدَ الحَسَن (رَضِىَ الله عَنهُ) بِعَامٍ .

وَرَزَقَهَا اللهُ بِابْنَةٍ فَأَسْمَاهَا الجَدُّ ﷺ زَيْنَب (رَضِىَ الله عَنهَا) وكَانَ اسماً لابْنَتِهِ زَيْنَب الَّتِى مَاتَتْ ، وَكَانَتْ عَظِيمَةَ الشَّبَهِ بِهَا ، ثُمَّ رُزِقَتْ بابْنَةٍ أُخْرَى ، فَأَسْمَاهَا الرَّسُولُ ﷺ أُمَّ كُلْثُومٍ إِحْيَاءً لِذِكْرَى ابْنَتِهِ الأُخْرَى الَّتِى لَاقَتْ رَبَّهَا .

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَحْفَادَهُ حُبًّا جَمًّا ، وَيَخُصُّ الحَسَن وَالحُسَيْنَ (رَضِىَ الله عنهما) بِحُبِّهِ

---

(١) النسائى (٨ - ٨٣) .

الشَّدِيدِ فَكَانَ يَطْلُبُ مِنْهُمَا أَن يُنَادِيَاهُ بِلَفْظَةِ (يَا أَبِى) وَكَانَ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) : « ادْعِى لِى ابْنِى ... فَإِذَا مَا جَاءَ إِلَيْهِ شَمَّهُ وَضَمَّهُ » ، وَكَثِيراً مَا كَانَ يَحْمِلُ أَحَدَهُمَا عَلَى كَتِفِهِ ، وَيَذْهَبُ لِبَعْضِ أُمُورِه .

مَشَى النَّبِىُّ ﷺ مَرَّةً إِلَى السُّوقِ ، وَقَدْ حَمَلَ أَحَدَ حَفِيدَيْهِ عَلَى كَتِفِهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ المَسْجِد وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ ، وَضَعَهُ جَانِبَهُ فِى رِفْقٍ ، وَأَقْبَلَ يَؤُمُّ المُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى مِن صَلَاتِهِ قَالَ لَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ سَجَدْت سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَد حَدَثَ أَمْرٌ ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ ؟

فَقَالَ ﷺ : « كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنّ ابْنِى ارْتَحَلَنِى ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِى حَاجَتَهُ » .

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ ، فَجَاءَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ (رَضِىَ اللهُ عنهُما) عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ ، فَنَزَلَ النَّبِىُّ ﷺ مِنْ أَعْلَى المِنْبَر ، فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ يُخَاطِبُ الصَّحَابَةَ : « صَدَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ... ﴾ (١) نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِى وَحَمَلْتُهُمَا !

وَيُرْوَى عَنْ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ (رَضِى اللهُ عنهُ) قَالَ : طَرَقْتُ بَابَ النَّبِىّ ﷺ فِى بَعْضِ الحَاجَةِ ، فَخَرَجَ

---

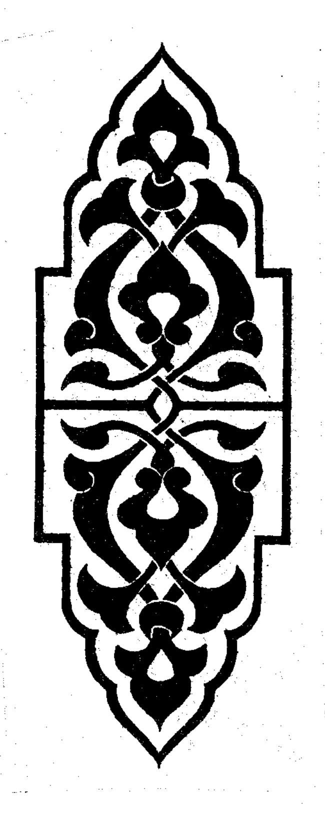
(١) سورة التغابن : الآية (١٥) .

رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَيْءٍ لَا أَدْرِى مَا هُوَ ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَاجَتِى ، قُلْتُ : مَا هَـٰذَا الَّذِى أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَكَشَفَهُ ، فَإِذَا هُوَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ (رَضِىَ اللهُ عنهُمَا) وَقَالَ : « هَذَانِ ابْنَاى وَابْنَا ابْنَتِى ، اللَّهُمَّ إِنِّى أُحِبُّهُمَا ، وَأُحِبُّ مَن يُحِبُّهُمَا »[1] .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ وَعَلِىٍّ (رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا) وَقَدْ غَلَبَهُمَا النُّعَاسُ ، والحُسَيْنُ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) يَبْكِى وَيَطْلُبُ طَعَاماً فَلَمْ يَهُنْ عَلَى جَدِّهِ ﷺ أَن يُوقِظَ فَاطِمَةَ أَوْ عَلِيًّا (رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا) ، فَذَهَبَ إِلَى غَنَمَةٍ كَانَتْ تَقِفُ فِى سَاحَةِ الدَّارِ فَحَلَبَهَا وسَقَى الحُسَيْنَ (رَضِى اللهُ عنهُ) مِن لَبَنِهَا حَتَّى ارْتَوَى !

وَمَرَّ النَّبِىُّ ﷺ يَوْماً بِالبَيْتِ ، وَهُوَ مُتَعَجِّلٌ ، فَبَلَغَ سَمْعَهُ صَوْتُ بُكَاءِ الحَسَنِ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، فَدَخَلَ يَقُولُ لِابْنَتِهِ مُعَنِّفاً : « أَوَ مَا عَلِمْتِ أَنَّ بُكَاءَهُ يُؤْذِينِى »[2] .

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الإِنْسَانِيَّةِ ، لَقَدْ كُنْتَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفاً رَحِيماً ، وَكُنْتَ أَرْأَفَ بِأَوْلَادِ ابْنَتِكَ الحَبِيبَةِ ، لَقَدْ كُنْتَ مُحِبًّا حُبًّا شَدِيداً لِابْنَتيهَا زَيْنَبَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ اللَّتَيْنِ سَمَّيْتَهُما بِاسْمَىْ ابْنَتَيْكَ زَيْنَب وَأُمِّ كُلْثُومٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُما) .



---

(١) رواه الترمذى لك : المناقب (٣٧٦٩) وحسنه ، وابن حبان (٢٢٣٤) وصححه .

(٢) رواه ابن سعد فى الطبقات (٢٩/٨) .

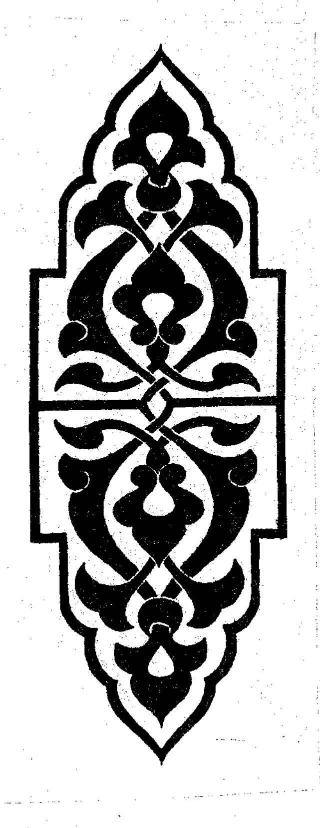
مَرَضُ النَّبِىِّ ﷺ

رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ وَقَد تَمَّ الفَتْحُ ، وَتَطَهَّرَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الكُفْرِ والشِّرْك ، وَنَزَلَتْ سُورَةُ النَّصْرِ : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً** ﴾[١].

وَفهِمَ بَعْضُ الصَّحابَةِ من نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّ الدَّعْوَةَ قَدْ تَمَّتْ ، وَأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى وَشَك أن يَلْقى رَبَّهُ ، فَبَكَى مَن بَكَى .

وَقَدْ كَانَ ... فَقَدْ أَكْمَلَ اللهُ للنَّاسِ دِينَهُمْ ، وأَتَمَّ عَلَيْهِم النِّعْمَةَ ، وَبَلَّغَ رَسُولُ الله ﷺ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِتَبْلِيغِهِ ، وَعَلَيْهِ ﷺ أَن يَسْتَعِدَّ لِلقَاءِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

لَقَدْ مَرِضَ النَّبِىُّ ﷺ ، وَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ أَن يَخْرُجَ فِى اللَّيْلِ إِلَى البَقِيعِ حَيْثُ مَقَابِرُ المُسْلِمِينَ ، وَوَقَفَ بَيْنَهَا يُنَاجِى رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَقَد اشْتَدّ عَلَيْهِ المَرَضُ ، وَزَادَتِ الحُمَّى ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْهُ أَن يَمْشِى إِلَى المَسْجِدِ ، وَأَن يُصَلِّى بِالنَّاسِ وَيَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ ﷺ : « إِنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ خَيَّرَهُ رَبُّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ الله »[٢] .



---

(١) سورة النصر : الآيات (١ - ٣) .

(٢) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١٧٦/٢) .

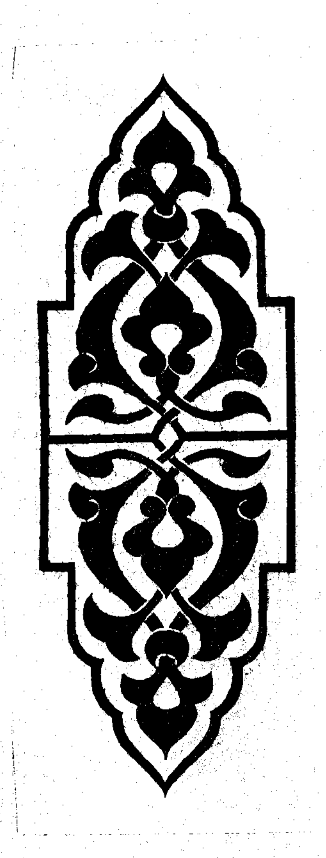
دَخلَ بَيْتَ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) وَقد زَادَت عَلَيْهِ شِـدَّةُ المَرَض وَالحُمَّى حَتَّى لَقَد كَانَتْ عَلَيْـهِ قَطِيفَةٌ ـــ غطاء ـــ إِذَا وَضَعَ مَنْ يَعُودُه يَدَهُ مِنْ فَوْقِهَا شَعَرَ بِشِدَّةِ حرِّ هَذِهِ الحُمَّى .

كَانَتْ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) تَعُودُه كُلَّ يَوْم ، وَبالرَّغْم ممَّا كَانَ فِيهِ مِن شِـدَّةٍ إِلَّا أَنَّهَا عِنْـدَمَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ تُقَبِّلُهُ ، وَكَانَ مِنْ قَبْلُ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْـهِ قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا ، وَأَجْلَسَهَا فِى مَجْلِسِه .

قَالَ لَهَا ﷺ : مَرْحباً يَا ابْنَتِى ، ثُمَّ أَجْلَسَهَا إِلَى جَانِبِهِ ، وَأَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً فبكت ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً آخرَ فَضَحِكَتْ .

وَأَرَادَت السَّيِّدَةُ عَائِشةُ (رَضِىَ الله عنهَا) أَنْ تَعْرِفَ هَـذَا السِّرَّ فى وَقْتِهِ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) : مَا كُنْتُ لأفْشِىَ سِرَّ رَسُولِ الله ﷺ .

فَلَمَّا مَاتَ ﷺ ، ذَكَرَتْ أَنَّهُ أَسَرَّ إِلَيهَا أَنَّهُ سَيُقْبَضُ فِى مَرَضِهِ هَـذَا فَبَكَتْ ، ثُمَّ أَسَرَّ أَنَّهَا أَوّلُ أَهْلِهِ تَلْحَقُهُ فَضَحِكَتْ .



اشْتَدّتْ الحُمَّى بِهِ ﷺ فَوَضَعُوا إِلَى جِوَارِهِ إِنَاءً بِهِ مَاءٌ بَارِدٌ ، فَمَا يَزَالُ يَضَعُ يَدَهُ فِيهِ وَيَمْسَحُ بِهَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَكَانَتْ الحُمَّى تَصِلُ بِهِ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ أَحْيَاناً ، ثُمَّ يَفِيقُ وَهُوَ يُعَانِى مِنْهَا أَشَدَّ المُعَانَاةِ .

قَالَتْ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) يَوْماً وَقَد حَزَّ الأَلَمُ فِى نَفْسِهَا لِشِدَّةِ أَلَم أَبِيهَا ﷺ : (وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ) !!

فَقَالَ ﷺ : « لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ اليَوْم »(١) .

يَعْنِى أَنَّهُ سَيَنْتَقِلُ مِنْ هَـذَا العَالَم ، عَالَمِ الأَسَى وَالأَلَم ، إِلَى عَالَمِ الرَّحْمَةِ ، والقُرْبِ مِنَ الله .

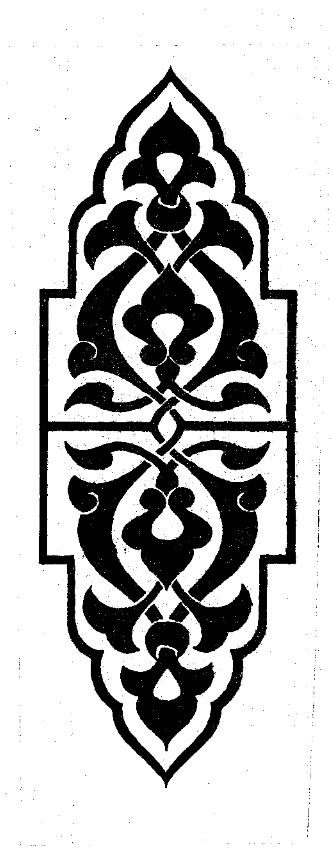
فِرَاقُ الأَحِبَّـة

ثُمَّ تُوُفِّىَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ مَرَضِهِ بالحُمَّى الشَّدِيدَةِ فَبَكَتْهُ ابْنَتُه بُكَاءً شَدِيداً ، وَكَانَ مِمَّا قَالَتْهُ (يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ ، يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ !!) .

وَلَمَّا دُفِنَ ﷺ أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) عَلَى أَنس بنِ مَالِكٍ (رَضِىَ الله عنهُ) فَقَالَتْ : (يَا أَنَسُ كَيْفَ طَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَن تُحْثُوا التُّرَابَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ) ؟

ثُمَّ بَكَتْ ، وَقَالَتْ تَرْثِيهِ :

اغْبرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ
شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ العَصْرَانِ
فَالأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِىِّ كَئِيبَةٌ
أَسَفاً عَلَيْهِ كَثيرَةُ الرَّجَفَانِ
فَلْتَبْكِهِ شَرْقُ البِلَادِ وَغَرْبُهَا
وَلْتَبْكِهِ مُضَـرٌ وَكُلُّ يَمَانِ
يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ المُبَارَكَ ضَوْؤُه
صَلَّى عَلَيْكَ مُنَزِّلُ القُرآنِ



---

(١) رواه الترمذى ك : فى الشمائل (٣٣٤) ، وابن ماجه (١٦٢٩) وسنده حسن .

وَوَقفَتْ فَاطِمَةُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) عَلَى قَبرِ أَبِيهَا ﷺ ، وَأَخَذَتْ قَبْضَةً مِن تُرَابِ الْقَبْرِ ، فَوَضَعَتْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا وَبَكَتْ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدَ
أَن لَا يَشِمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا
صُبَّتْ عَلَى الأَيَّام صِرْنَ لَيَالِيَا

وَكَانَتْ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) إِذَا أَصَابَهَا شَيْءٌ بَعْدَهُ ، ذَهَبَتْ إِلَى قَبْرِهِ تَبُثُّهُ أَشْجَانَهَا ، وَتَقُولُ مُخَاطِبَةً إِيَّاهُ ، كَأَنَّهُ مَاثِلٌ أَمَامَهَا :

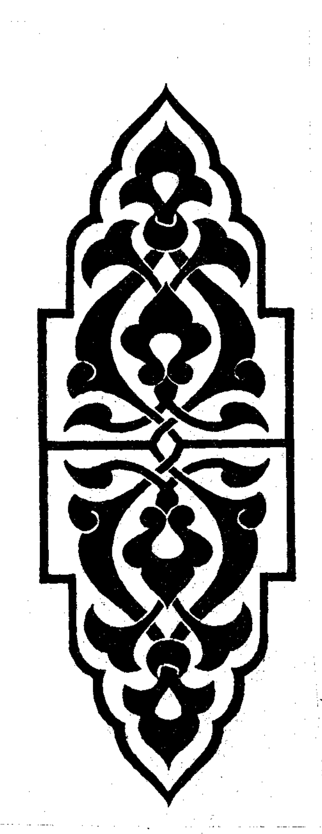
غير صحيح ولا يجوز

إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقْدَ الأَرْضِ وَابِلَهَا
وَغَابَ مُذْ غِبْتَ عَنَّا الوَحْيُ والكتُب
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ المَوْتُ صَادَفَنَا
لَمَّا نُعِيتَ وَحَالَتْ دُونَكَ الكثب

★ ★ ★

لَقَدْ شَارَكَ الأَهْلُ وَالأَقَارِبُ وَالمُسْلِمُونَ فَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) الأَحْزَانَ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهَا بِالْمُوَاسَاةِ وَالْعَزَاءِ ، فَقَالَتْ (أَرْوَى) بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلب عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ تُشَارِكُ فَاطِمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) مَا نَزَلَ بِهَا ، وَتَذْكُرُ ابْنَ أَخِيهَا ، وَكَانَ مِمَّا قَالَتْهُ :

أَفَاطِمُ صَلَّى اللهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ
عَلَى حَدَثٍ أَمْسَى بِيَثْرِبَ ثَاوِيَا



كَأَنَّ عَلَى قَلْبِى لِذِكْر مُحَمَّدٍ
وَمَا خِفتُ بَعْدَ النَّبِيِّ المَكَاوِيَا
أَبَا حَسَن فَارَقْتَهُ وَتَرَكْتَه
فَبَكِّ بِحُزْنٍ آخِرَ الدَّهْرِ شَاجِيَا

وَقَالَتْ صَفِيَّةُ بنتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ :

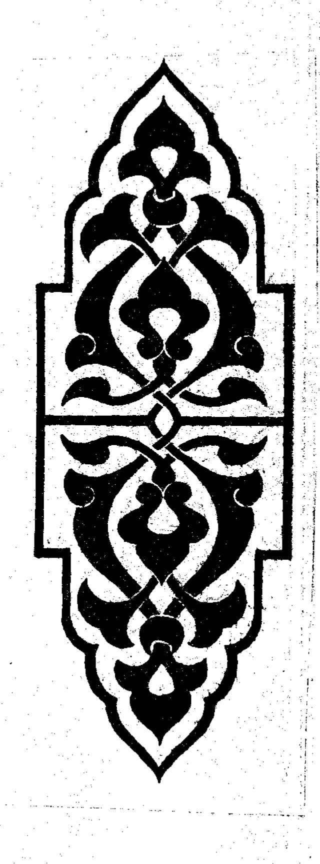
أَفَاطِمُ بَكِّى وَلَا تَسْأَمِى
بِصَبْحِكَ مَا طَلَعَ الْكَوكَبُ
هُوَ المَرْءُ يَبْكِى وَحَقُّ البُكَاءِ
هُوَ المَاجِدُ السَّيِّدُ الطَّيِّبُ
فَأَوحَشَتِ الأَرْضُ مِن فَقْدِهِ
وَأَيُّ البَرِيَّة لَا يُنْكَبُ ؟

وَظَلَّتْ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) فِى حُزْنٍ وَهَمٍّ حَتَّى لَحقَتْ بِأَبِيهَا .

قَدرٌ وَمَكَانَة

استحقت السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) أَن تُكَرَّمَ فِى حَيَاتِهَا ، وَبَعْدَ مَمَاتِهَا ، وَكَانَ فَضْلُهَا عَظِيماً ، وَوَرَدَ فِيهِ أَحَادِيث عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ .

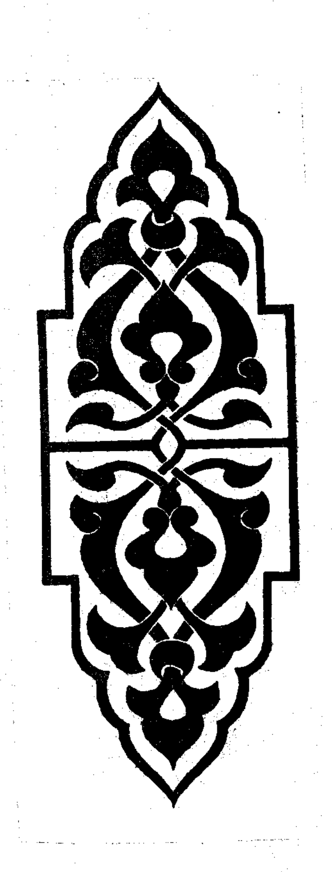
فَقَد رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ (رَضِىَ الله عنهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِينَ أَرْبَعٌ : مَرْيَمُ بنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ بنْتُ مُزَاحِم امْرَأَةُ فِرْعَونَ ، وَخَدِيجَةُ بنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ »[1] .



(١) انظر : (كَنْز العُمَّالِ ٣٤٤٠٤) .

وَهَذَا الحَدِيثُ رُوِىَ مِن طُرُقٍ كلهَا صَحِيحَةٌ وَكَفَى بِذَلِكَ فَخْراً وَاعْتِزَازاً ، رَحِمَهَا اللهُ وَرَضِىَ عَنهَا.

المَرَضُ وَالوَفَاة



ثُمَّ مَرِضَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَكُلُّ حَىّ إِلَى زَوَالٍ ، وَكَأَنَّهَا كَانَتْ عَلَى مِيعَادٍ ، وَزَارَهَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَدِ اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِىَ الله عنهُ) فى مَرَضِهَا فَأَذِنَتْ لَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِى قَلْبِهَا إِلَّا الوَفَاءَ لأَعَزِّ صَدِيقٍ وَصَاحِبٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَطَلَبَ إِلَى زَوْجَتِهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ أَنْ تُلَازِمَ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) وَأَنْ تَقُومَ بِخِدْمَتِهَا وَتَمْرِيضِهَا فَظَلَّتْ مَعَهَا حَتَّى فَاضَتْ رُوحُهَا . وَصَنَعَتْ لَهَا نَعْشاً لِتُحْمَلَ عَلَيْهِ .

فَقَدْ رُوِى أَنَّ أَسْمَاءَ (رَضِىَ الله عنهَا) قَالَتْ : يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، أَلَا أُرِيكِ شَيْئاً يُصْنَعُ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ ؟ فَدَعَتْ بِجَرَائِد رَطْبَةٍ فَحنتهَا ، ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْباً ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) : مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَه ! فَإِذَا مِتُّ فَاغْسِلِينِى أَنْتِ ، وَلَا تُدْخِلِى عَلَىَّ أَحداً .

وَقَد كَانَ ... فَقَد غَسَّلَتْهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، وَلَمْ تُدْخِلْ عَلَيْهَا أَحداً ، وَصَلَّى عَلَيْهَا الخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق (رَضِىَ الله عَنهُ) ، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيع ، وَكَانَتْ

وَفَاتُهَا فِى اليَوْمِ الثَّالِثِ مِن رَمَضَانَ سَنَة إِحْدَى عَشْرَ مِنَ الهِجْرَةِ ، وَكَانَ عُمْرُهَا تِسْعاً وَعِشْرِينَ سَنَة .

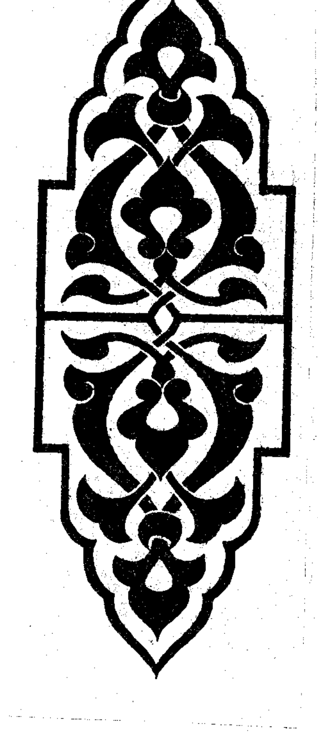
تَرَكَتْ فَاطِمَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) بَعْدَهَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً مُبَارَكَةً ، فَقَد أَنْجَبَتْ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ ، ثُمَّ مُحْسنَ ، ثُمَّ زَيْنَب ، ثُمَّ أُمَّ كُلْثُومٍ ، وَمَاتَ مُحْسِنٌ وَهُوَ صَغِيرٌ (رَضِىَ الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ) .

★ ★ ★

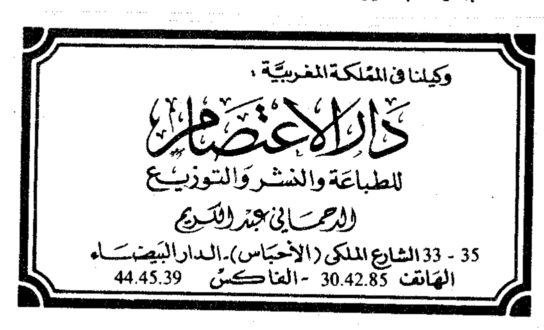
وَإلى اللّقاءِ بمشيئةِ اللهِ مَعَ ..

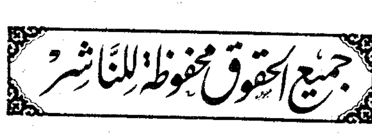
زَيْنَبُ رضىَ اللهُ عنها العروسُ الهاشِمِيّة .

★ ★ ★



دَارُ الفَضِيلَة
لِلنشرِ وَالتوزيعِ وَالتصديرِ
الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضى - كليّة البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبى - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦





دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٦١٣ / ١٩٩٧